

الحرب البحرية والمواجهة العالمية القادمة (2)

عالم محسن

العشرين. أكثر من ذلك، خرج الصينيون بتصميم جديد، هو "التايب - 55"، سيكون أكبر وأثقل من المدمرات الأميركية، وسيحمل ما يقارب 130 صومعة لإطلاق الصواريخ المختلفة، وسيجهز - بحسب المصادر الصينية - بأجبال جديدة من الذخائر في مختلف الفئات. في تقرير حكومي أميركي عن القدرات البحرية الصينية، يحذر المحررون من أن المدمرات الصينية الكبيرة، وإن كانت لا تزال أقل عدداً بكثير من نظيراتها في الأسطول الأميركي، إلا أنها تُرَفَد بعشرات الفرقاطات والكورفيتات الحديثة، هي ليست بقدره المدمرات (التي تشبه قاعدة دفاع جوي، ومنصّة حرب ضد السفن، وبارجة تقصف عمق العدو، وصائداً للغوّاصات في أن) ولكنها سريعة ورشيقة ومجهزة بصواريخ شديدة الفعالية ضدّ السفن، وهي قادرة على العمل قرب السواحل الصينية ووضع الأسطول الأميركي في مرماها إن اقترب. خلال عقدين، تحوّل الأسطول الصيني من تشكيلة مكونة من سفن سوفياتية قديمة وصينية متخلّفة، إلى قوّة بحرية تعدّ أكثر من 70% من قطعا "حديثة"، بالمقاييس الغربية، كلها إنتاج محليّ، والنسبة تزداد بإضطراد. السائلة، أدا، ليست في مكان الصين حالياً. نسبة إلى القوة الأميركية، بل أين سنصبح بعد خمس سنوات من اليوم.

الغواصة والطوربيد

في تقرير للاميرالية البريطانية من بداية القرن العشرين، تمّ تحديد الغواصة والطوربيد على أنّهما التطوران الأكثر "خلخلة" للمفاهيم العسكرية التقليدية. في الحقيقة، فإنّ السعي إلى زيادة مدى المدفعية البحرية في أوائل القرن، وإيجاد الوسائل للتصويب البعيد في البحر، كان أساساً بسبب تطوير الطوربيد؛ لأنك إن سمحت لزورق طوربيد صغير (زنته منّا طن) بالاقتراب منك دون الأربعة آلاف متر، فأنت ميتٌ، ولو كنت بارجة وزنها عشرة آلاف طن. في السيناريو الذي خطّه جورج فريدمان للحرب بين أميركا والصين، هناك تنكيزٌ بأنّ أكثر الأسلحة التي تمّ ذكرها (من الصواريخ الصينية الباسستية المضادة للحاملات، إلى الدفاعات الأميركية التي يُفترض أن تسقطها، وصولاً إلى حرب الفضاء ضد الأقمار الصناعية) كلّها تقنيات لن تعرف إن كانت تعمل حتى يتمّ تجربتها ومواجهتها ببعض، وهذا لم يحصل بعد. من جهةٍ أخرى، فإنّ "الثغرة" المؤكدة في كلّ الحالات، بالنسبة إلى فريدمان، هي الغواصات (أميركية وصينية) التي لن يتمكن أحدٌ، مهما هيمن على البحر والسماء، من الغاء خطرهما.

يكفي أن تنسلّ غواصة واحدة وسط مجموعة لحاملات الطائرات، من دون أن تُكشف، حتى ترتكب بها مجزرةً شنيعة خلال دقائق قليلة. والغواصات الهجومية الحديثة مصممة لهذا الهدف تحديداً. قد لا تتمكن طائرة معادية أو سفينة سطح من الاقتراب من أسطول أميركي وهو في حالة انذار وانتباه، ولكن العديد من الغواصات قد نجت بالفعل في مفاجأة حاملات أميركية والتسلل قريبا. فعملت ذلك غواصات فرنسية وسويدية في تمارين حربية. بل وهناك حادثة شهيرة طفت خلالها غواصة صينية، فجأة، قرب الحاملة الأميركية "كيتي هوك" بعد أن لاحقتها مدّة متجنّبة كل مجساتها المتقدّمة. علينا أن ننسى، هنا، غواصات الحرب العالمية الثانية فهي، رغم فعاليتها، كانت فعليا سفن سطح تغوص لمدى قصيرة (غالباً خلال تنفيذ الهجوم)، وإلى عمق بسيط، بحيث تمكن مشاهدتها بالعين المجزّدة وهي تحت الماء (وقد قام الحلفاء، في آخر الأمر، بكشف الغواصات الألمانية واصطيادها عبر طائرات الدورية).

الغواصات الهجومية اليوم هي كائنٌ مختلفٌ كلياً: تغوص لأعماق كبيرة، هي أسرع - وهي غاطسة - من أغلب السفن، صامتة وخفية إلى حدّ مذهل، ومسّحة بترسانات رهيبه. من الواجب هنا أن نعطي إشارة بسيطة عن قدرة الطوربيد التدميرية. هو، على عكس الصواريخ والغارات، يسير تحت الماء، فمن الصعب جداً اكتشافه وقد يتمّ ضرب السفينة قبل أن تعرف أنها مستهدفة؛ ولو عرفت، فإن اعتراضه أو تضيئه سيصيرٌ وهو، في نماذج الحديثة، أقدر على المناورة من أي سفينة حربية، فأين المفز؟ الطوربيد، علاوة على ذلك، يضرب السفينة في بدنها الأسفل، حيث التصفيح قليل، ومفعوله مدمرٌ بشكل استثنائي. الطوربيد يولد انفجاراً ضخماً تحت الماء بجانب السفينة، والقاعة الفراغية التي يولدها الانفجار هي ما يدمر الهدف؛ فتغيّر الضّغط، كأثر القنابل الفراغية، يقسم الهيكل حتى ينبعج وينشق عن ثغرة كبيرة. ولو كانت السفينة الهدف صغيرة نسبياً، فمن الممكن للطوربيد أن يكسرها نصفين (وهو ما حصل، منذ سنوات، مع الفرقاطة الكورية الجنوبية. سفينة حديثة متطورة، انشطرت وغرقت في دقائق، قبل أن تعرف ما جرى لها، بفعل طوربيدٍ أطلقتته غواصة كورية شمالية بحجم باص كبير).

من هنا لا أحد يقدر على التنبؤ بنتيجة المواجهة البحرية القادمة، أو ما سيحصل حين يصطدم الأسطول الأميركي بعددٍ ذي حيلة وقدره ويحارب في ميدانه. الأميركيون يحكمون العالم عبر البحار، ولكن للفقراء أيضاً أسلحتهم، وهناك قوى صاعدة تحاول بناء مجال حيوي حولها واقتطاعه من السيطرة الأميركية. والسياسة والاقتصاد يقتران، في كثير من الأحيان، قبل السلاح والتقانة (الصين، مثلاً، لن تضطر على الأرجح إلى غزو تايوان لأنّ البلدين قد أصبحا، بالفعل، في شبه وحدة اقتصادية ولو استمرت الأمور على هذا الحال لزمين. قد تعود تايوان لوحدها، من دون حرب وصراع). عام 1914، حين دخلت بريطانيا الحرب الكونية وهي تزدهر بأكبر أسطول في العالم وأضخم البوارج وأحدثها، لم يكن أحدٌ يتخيّل يومها أن الامبراطورية العظيمة سنصبح، خلال عقودٍ قليلة، أثراً بعد عين.

يحاول جورج فريدمان (مؤسس شركة "ستراتفور") أن يتخيّل حرباً بين أميركا والصين في مقالين، يوصف كل منهما سيناريو مختلفاً. في الأول، تحاول الصين أن تغزو تايوان في ضربة خاطفة، وفي الثاني تضرب أميركا حصاراً بحرياً على الصين على طول أرخبيل الجزر الذي يحيط بسواحلها الجنوبية والشرقية. في الحالتين، يستخلص فريدمان، لن يتمكن المهاجم من تحقيق هدفه بسهولة. حتى تتمكن الصين، مثلاً، من غزو تايوان، وتحقيق سيطرة جوية وبحرية في المضيق تسمح بدفق انزال مستمرٍ لقواتها، سيكون عليها تنفيذ كلّ المهام التالية، بنجاح، في آن واحد: ضرب مجموعتي حاملات الطائرات الأميركية التي تتواجد عادة في شرق آسيا لإخراج الأسطول الأميركي - مؤقتاً - من غرب الباسيفيك، ضرب كلّ المطارات والدفاعات البحرية في جزيرة تايوان لتمكين الإنزال، تدمير قاعدتي غوام ودييغو غارسيا حيث القاذفات الاستراتيجية ومراكز الدعم والإمداد، إضافة إلى محاولة تخريب الأقمار الصناعية الأميركية والتشويش على اتصالاتها. هذا على افتراض أنّ القواعد الأميركية في الدول الحليفة القريبة (كاليابان وكوريا وأستراليا وغيرها) لن تدخل الحرب، وسترفض الدول المضيفة أن تتورّط في مواجهة عسكرية مع الصين. وحتى لو حقّق الجيش الصيني كلّ هذه الأهداف، يضيف فريدمان، فإنّ القيادة الأميركية ستترسل عدداً هائلاً من الغواصات إلى جانبي المضيق، لتتصدّى السفن الصينية وتخرب الإنزال.

من جهةٍ أخرى، فإنّ أيّ محاولة أميركية لإغلاق الأرخبيل الاستراتيجي، وحراسة "الثغرات" الملاحية فيه بسفنها الحربية، لن يكون هيئاً على الإطلاق (على الفم الشمالي لسلسلة الجزر هذه، بين كوريا واليابان، كمنّ الأسطول الياباني لعدوّه الروسي عام 1905، بعد أن كان قد قطع نصف العالم، ودار حول أوروبا وأفريقيا محاولاً الوصول إلى فلاديفوستوك، لينتظره اليابانيون في أحد المضائق الإيجابية هناك ويدمّروه بالكامل). إن شاءت أميركا أن تحاصر الصين اليوم، وأجبرت الأسطول الصيني على البقاء في مرافئه، فهي ستضع حاملاتها في مرمى الصواريخ المضادة للسفن التي يطوّرها ويكسها الصينيون وتطلق من قواعد برية (أو من "الجزر الاصطناعية" التي تبنيها بيجينغ في المياه المتنازع عليها). من هنا، سنضطرّ أميركا إلى إغناء أو تدمير الأقمار الصناعية الصينية، حتى لا تتمكن من معرفة مواقع الحاملات الأميركية وتوجيه الصواريخ إليها. حتى ولو تحقّق ذلك، يحكم فريدمان، قد تتمكن بيجينغ من رصد الأهداف عبر الطائرات المسيّرة ووسائل أخرى، ما يعني أن الجيش الأميركي - حتى يحقق مهمته - سيكون مجبراً على شنّ حرب جوية شاملة فوق البر الصيني، وتدمير كامل القوة الصاروخية التي تستهدف أسطوله، حتى ولو تحقّق ذلك، وهو شبه مستحيل، ستظلّ الغواصات الصينية خطراً لا يمكن توقيه بالكامل، خاصة أنّ الأسطول الأميركي سيحرس ويجول مواقع ومضائق معروفة (أي الوضعية المثالية للكمان).

ارهادا جديدة

للحقّ، فإنّ الصين، خلال العقدين الماضيين، قد تطوّرت في المجال البحري بوتيرة مثيرة للدهشة. في أواسط التسعينيات، كانت الصين ما تزال "تطمح" إلى شراء مدمرات سوفياتية قديمة، وخلال جيل ونصف فحسب أصبحت تنتج - محلياً - مدمرة "تايب-52 دي"، وهي تشبه نسخة أصغر لقليل من مدمرات "اليجيس" الأميركية المتقدّمة ولا تقل عنها بشيء، من راداراتها إلى نخائرها إلى تصميمها (بل تتفوق عليها في بعض النواحي، فالدمرة الصينية تحوي رادارين حديثين بموجتين مغايرتين، ما يسمح لها بأداء مهام مختلفة بشكل متزامن، الحماية ضد الصواريخ الباسستية - مثلاً - وضدّ الأهداف القريبة في الآن نفسه، فيما المدمرات الأميركية مجبرة على الاختيار بين أحد النمطين، إذ أن البنتاغون قد قرّر الاكتفاء برادار واحد على مدمراته خفصاً للتكلفة). حتى في التفاصيل الصغيرة، أصغر الصينيون على الاقنان في البحر. كمثل، الصواريخ على المدمرات الحديثة (سواء الذخائر التي تستخدم للدفاع الجوي أو لضرب الأهداف الأرضية) تخزن في "خلايا" أو صوامع عمودية داخل بدن السفينة، ولذلك أنت لا ترى لها أثراً في الصور. وهذه الخلايا تقذف الصواريخ إلى أعلى بقوّة الغاز المضغوط قبل أن تشعل محرّكها. الأميركيون توصلوا إلى بناء صوامع موحدة الحجم، بمعنى أنّها قد تعبأ بأي نوع أو حجم من الصواريخ (بمعنى أن الصومعة ذاتها قد تحمل صاروخاً كبيراً مضاداً للصواريخ، أو صاروخ كروز، أو صاروخاً صغيراً للدفاع الجوي، الخ)، ما يمكن كلّ مدمرة، في أي وقت، من اختيار مزيج الذخائر الذي يناسب مهمتها وظرفها. الصينيون، خلال أقل من سنتين، تمكنوا من تطوير المعيار ذاته واعتمده على سفنهم الجديدة.

المشكلة (أو الميزة) في التقدّم الصيني هي ليست في النوعية فحسب، بل في الكمّ أيضاً. ما أن يصل الصينيون إلى اتقان تصميم ما، حتى يبدأوا بانتاجه بكميات لا تصدق، وخلال فترة زمنية وجيزة. عام 2012، كتب الخبير الأميركي روبرت روس محاولاً طمأنة المؤسسة الأميركية، والتقليل من التهديد العسكري الذي تمثله الصين. نبّه روس إلى أنّ المدمرة الصينية "الستقبلية" (في إشارة إلى "تايب - 54 دي) دشّن بالكاد نموذجها الأول، فيما أميركا تملك ما يقارب المئة قطعة من هذه الفئة. اليوم، بعد أربع سنوات، أصبحت هناك 14 مدمرة صينية من هذا الطراز (بعضها في الخدمة وبعضها يخضع للتجهيز في البحر وبعضها الآخر في أحواض البناء) والعدد سيرتفع قريباً إلى ما فوق



بفترض بالقوى المسيحية التحسب جيداً في اختيار القانون لأنه سيؤسس لواقع المسيحيين لسنوات طويلة مقبلة (الأخبار)

الرئيس سعد الحريري سالكة إلى السرايا الحكومية، فلقوى 8 آذار أيضاً، اهتمامها المستقبل بقانون انتخاب يحقق لها أيضاً حصة نيابية وأزنة، لأن عيون الجميع على مجلس 2017 وضمان الأكثرية فيه، لألف سبب وسبب».

ينسحب على كل مكونات 8 آذار، والأحزاب التي سلمت بمجيء رئيس الجمهورية أو لم تسلم، هي المعنية أيضاً بتجميع قواها في الانتخابات النيابية. وإذا كان تيار المستقبل يريد قانوناً مريحاً له، من أجل ضمان عودة أمنة وإبقاء طريق

اليوم تستغلّ انشغال العالم بأزمات المنطقة وفشل جهود السلام، من أجل التمدادي في سلب حقوق الفلسطينيين والاستمرار في التعدي على سيادة جيرانها، وفرض أمر واقع لن يمكن العودة عنه في المستقبل».

وشنّ هجوماً على «الربيع العربي»، واصفاً إياه ب«حجيم العرب وليس ربيعهم». وأضاف «ما الذي أنتجته تلك «الغوضى الخالقة» غير الحد والكراهية والألام والضحايا؟ لنا كل الحق في هذه التساؤلات، ونوجّهها للدول التي تتجاهل حقوق الإنسان ولا تتذكرها إلا وفق مصالحها... تلك الدول التي تسمّى إرهاباً كلّ ما يمسّ بأمنها، وتسمّى «ثورة» كل الإرهاب الذي يخدم مصالحها».

من جهةٍ أخرى، أعلن «الإعلام الحربي» التابع للمقاومة الإسلامية أنّ الأخيرة عثرت على طائرة الاستطلاع الإسرائيلية من نوع «سكاي لارك»، التي سقطت يوم الإثنين في منطقة حرجية ما بين علما الشعب - الناقورة - اللبونة في صور، وأن الطائرة نقلت إلى «مكان آمن» من أجل الكشف عليها.

وكان الجيش اللبناني وقوات اليونيفيل قد سيرا دوريات من أجل البحث عن الطائرة، إلا أنّ وعورة المنطقة والألغام الأرضية المزروعة حالت دون ذلك.

(الأخبار)

التيار: كل الخيارات مفتوحة أمامنا، التحركات في الشارع أو مقاطعة الانتخابات

الستين، ولكن نريد أن نُقدم رؤيتنا المناسبة». ورقة النقاش الجنبلاطية تضم بنداً وحيداً: «أن يكون الشوف وعاليه دائرة واحدة وفق النظام الأكتري. هذا الموضوع مصيري بالنسبة لنا».

على صعيد آخر، تحدث رئيس الجمهورية ميشال عون أمام أعضاء السلك الدبلوماسي وممثلي البعثات الدبلوماسية المعتمدين في لبنان عن القضية الفلسطينية، سائلاً «لماذا لا تأخذ الأمم المتحدة قراراً يلزم إسرائيل بإعادة الأرض المتفق عليها للفلسطينيين والاعتراف بهويتهم؟ ولماذا لا يزال الإسرائيليون يسلبون أرض الفلسطينيين حتى اليوم؟ ولماذا يهدمون منازلهم ويحرقون بساتينهم ويستلمكون أرضهم ليبنوا المستوطنات؟ إن إسرائيل